



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

العراق وفرصة نجاح الوساطة بين إيران والسعودية

حميد رضا الإبراهيمي



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تمّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2021

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

العراق وفرصة نجاح الوساطة بين إيران والسعودية

حميد رضا الإبراهيمي *

عرض الموضوع

منذ فترة ويسعى رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي إلى تقمُّص دور الوسيط، وفتح قناة حوار مغلقة بين الرياض وطهران؛ من أجل تخفيف حدّة التوتر الحاصل في المنطقة، ولعب دورٍ رياديٍّ يوفّر عن طريقه الثقل السياسيّ متمثلاً بالعراق، وقد تكلّلت خُطواته الأولى بالنجاح حينما جمع الطرفين في طاولة مباحثات موحدة، إلا أنّ هنالك مخاوفاً وشكوكاً جمّة حول استمرارية نجاح الوساطة العراقية، إذ تتبع تلك الشكوك من عوامل عدّة، تبدأ من قدرة المساومة العراقية مروراً بمقبولية الكاظمي عند الطرفين، وانتهاءً بنوع المشاكل بين طهران والرياض، وارتباطها بعوامل عديدة من قبيل: (الملف النوويّ، وموضوع اليمن ولبنان، وطريقة تعاطي حكومة بايدن مع مشاكل الشرق الأوسط).

فحكومة الكاظمي تدرك جيداً حجم المشاكل التي تواجه وساطتها، لذلك رسمت لخطواتها أهدافاً قصيرة الأمد، وأقل طموحاً من حلحلة كامل المشاكل بين جارتَي بغداد، إذ تنصبُّ الوساطة العراقية على الإفادة من التفاهات الجزئية بين الطرفين لتهدئة ساحته الداخلية، ففي هذا الشأن يرى الكاظمي نفسه أمام مشكلةٍ حقيقيةٍ تتمثّل في اختلال توازن القوى بين طهران والرياض في الداخل العراقيّ، في ظلّ غياب الرغبة الأميركية باستمرار التدخل في العراق، وعلى ما يبدو فإنّ الكاظمي عاجزٌ عن طرح السعودية بوصفها ممثلاً للغرب في العراق، وهذا ما سنتناول تفاصيله بتوسّع في طيّات البحث.

* صحفي مختص في شؤون العالم العربي والشرق الاوسط.

شرح الموضوع

وفيما يتعلّق بصورة الوساطة الدولية، وعموماً يجب النظر إلى بعض النقاط الأساس لمعرفة مقدار فرص نجاح الوساطة، فمقبولية البلد والوسيط عند أطراف المفاوضات له الأهمية القصوى في نجاح الوساطة وتحقيق الأهداف المنشودة، والتأكيد على الشخص الوسيط والبلد في آن واحد ناتج من أنّ المجتمع الدولي لا يمكن أن يعتمد على رئيس الحكومة في نجاح وتقديم المباحثات، وذلك للتخوف من مرحلة غياب صنع القرار، وابتعاده عن السلطة مستقبلاً أو تغيير حكومته، وعدم وجود كتل سياسية ضامنة لإكمال خطواته أو نفس ما أنجزه.

من جهة أخرى يجب أن يكون البلد الوسيط ذو قدرة ماثلة أو قريبة من الدول المتفاوضة، ليتمكن من التقريب بين وجهات النظر وإقناعهما بالتوصل لاتفاقٍ عن طريق الترغيب تارةً والترهيب تارةً أخرى، فعلى سبيل المثال: في اتفاقية "كامب ديفيد" للسلام كان "كارتر" وحكومته، وأيضاً اقتدار الولايات المتحدة على المستوى المطلوب والذي يؤهلها من كسب ثقة المصريين والإسرائيليين معاً، ما مكنها من لعب دور رئيس في إتمام الاتفاقية، وتقريب وجهات النظر، ومن ناحية أخرى دفعت القيادات الأميركية المباحثات إلى الأمام عن طريق ترغيب الطرفين، وإجبارهما في بعض الأحيان على المضي قدماً بعملية السلام.

ومن جهة أخرى يجب الأخذ بنظر الاعتبار مقدار تدخل البلد الوسيط في حلحلة الخلافات بين الطرفين، ومدى وتأثيره على نجاح المفاوضات، بمعنى أنه "ما حجم الخلاف بين الطرفين؟ وإلى أيّ مدى يمكن للحكومة الوسيطة التأثير في حل النزاع؟"، فكلّما كان مستوى الخلاف أوسع من مستوى تدخل البلد الوسيط تلاشت فرص نجاح الوساطة، لأنّه سيكتفي بدور المتفرّج ولن يتمكن من دفع المباحثات إلى برّ الأمان، ومن أجل التركيز على محتوى البحث ينبغي النظر والتأمّن ملياً بكلّ المعايير التي تخصّ وساطة مصطفى الكاظمي والحكومة العراقية بين إيران والسعودية، كما أنّ مبادرة الوساطة تلك منبثقة إلى حدّ كبيرٍ من فكر مصطفى الكاظمي أكثر من انبثاقها من الإجماع السياسي العراقي، فبعداد عندها حكومة سيفساء متشعبة المواقف والرؤى، ويمتد مستوى الاختلاف بين أحزابها أحياناً إلى آفاق بعيدة جداً، وفي ما يخص العلاقات الإقليمية هناك أطراف وكتل سياسية تقف موقف العداء التام للسعودية، بل وتتبنّى موقف توجيه ضربة عسكرية لها، ومن هنا يمكن افتراض إجماع كلي من الحكومة العراقية بقبول الوساطة، فعلى الرغم من أنّه لا يمكن ضمان استمرارية المقبولية والإجماع للمدى البعيد، وهذا الموضوع الذي يؤرّق السعوديين أكثر من

الإيرانيين؛ لأنّ الحكومات العراقية نادراً ما تبرز العداء للجماعة إيران حتى في ظلّ أسوأ السيناريوهات والمواقف، إلا أنّها سرعان ما تنقلب على السعودية لأيسر الأسباب، وفيما يخصّ المقبولية التي يحظى بها الكاظمي عند العواصم المختلفة، ممكن القول إنّ رئيس الوزراء العراقي يحظى بمقبولية من قبل حكّام الرياض أكثر من طهران، وعلى الرغم من أنّ طهران ليست خصماً مباشراً للكاظمي، إلا أنّ حلفاءها في داخل العراق يهاجمونه بمناسبة عدّة، ويعدّونه من أهمّ العقبات التي تواجه تحقيق أهدافهم، وبعبارة أكثر اختصاراً فإنّ "الكاظمي مرّحب به عند السعوديين لكن في الموقف الإيراني يغلب عليها طابع التسامح أكثر من الترحيب" كما أنّ مستقبله السياسي الذي يكتنفه الغموض قد يزيد من الشكوك حول نجاحه في إرساء عملية الوساطة إلى برّ الأمان.

الموضوع الآخر هو قدرة العراق بالتأثير وترك بصمته على قرارات العاصمتين، فالكاظمي بطبيعة الحال وبوصفه شخصاً قريباً أكثر من الجبهة الغربية ومورد اعتماد المملكة العربية السعودية، باستطاعته إلى حدّ ما عرض نفسه بوصفه ممثلاً للجانب الغربي، ومن الممكن أن يكون صاحب تأثير على قرارات الرياض، لكن السؤال المعروض هو: ما الذي سيمنحه الغرب للكاظمي في الساحة العراقية لإسناد موقفه في المفاوضات؟ فالعراق وبوضعه المتزعزع وغير المستقر يبدو عاجزاً عن خلق أيّ تأثير أو ضغوطات على جيرانه، باستثناء ملف تصدير الكهرباء وبعض المشاريع العمرانية التي يمكن لبغداد عرضها، والضغط بها على الجارة طهران، من أجل إنجاح المفاوضات،¹ مع العلم أنّه لا يمكن الإفادة من تلك الملفات للتأثير على مفاوضات أمنية مثل مفاوضاتها مع الرياض؛ لأنّ المصالح الاقتصادية لا تبدو ذات أهمية أمام الملفات الأمنية، والتي يبدو أنّها أكثر ترجيحاً وأهمية لطهران، إذ تتمسك إيران بأولوية الحفاظ على العلاقة مع فصائل مسلحة شيعية، والتي تبدو الحكومة العراقية عاجزة عن التأثير عليها، فعلى سبيل المثال يمكن الإفادة من عرض ملف نزع سلاح الميليشيات العراقية في سلة المباحثات الثنائية للتأثير عليها، ولكن حينما لا يكون عند حكومة بايدن الموالية للكاظمي أيّ نية لإثارة التوترات مع طهران، حتّى في حال الرد على الضربات الموجهة ضد المصالح الأميركية، فلن يكون عرض مثل هذا الملف مجدداً.

المسألة الأخرى فيما يخصّ وساطة العراق بين طهران والرياض هي: إنّ المشكلة بين الجانبين ليست إقليمية بحتة، وإنّما ناجمة من صراع أعمق وهو "صراع إيران مع الغرب"، إذ امتدّ لسنين طويلة تحت عناوين مختلفة، واليوم استقر تحت عنوان "الملف النووي" إذ يكاد يكون انفكاك الملف النووي الإيراني عن المشاكل العالقة بين طهران والرياض أمراً مستحيلاً، ولا توجد فرصة مؤاتية لتطبيع

1. <https://tinyurl.com/yxextcr8>

العلاقات بين الجانبين في خضم تصاعد حِدَّة التوتر بشأن الملف النووي، وهذا لا يعني بالضرورة أن يكون حل نزاع الملف النووي ملازماً لتخفيف حِدَّة التوتر بين الطرفين.

كما أنَّ التوتر بين البلدين بلغ ذروته في اليمن بعد توقيع الاتفاق النووي، لكن يمكن القول إنَّ خفض التصعيد بالملف النووي الإيراني من شأنه أن يسهم في تقدُّم المباحثات إلى حدِّ ما، في حين يبدو العراق فاقداً لأيِّ تأثيرٍ في الأزمة الأم، والتي دُكِّرت سلفاً، وهي «الأزمة الإيرانية الغربية» فضلاً عن غياب بصمته أو تأثيره في الملف النووي، بل ويُعرَف إلى حدِّ ما بأنَّه جزء من الأزمة.

وهنا يُسْتَنْجَحُ ممَّا ذُكِرَ آنفاً أنَّ الهدف من الوساطة العراقية بين الرياض وطهران هو إبقاء نافذة الحوار مفتوحة للسيطرة على الأزمة وليس لحلِّها بالكامل، وكما هو جليٌّ فإنَّ صراعهما واضح على الأراضي اللبنانية في خضم المباحثات، مروراً في اليمن التي تشهد اعنف المعارك من أجل السيطرة على مأرب، وصولاً إلى انطلاق الطائرات الحوثية المسيَّرة إلى عمق الأراضي السعودية، ممَّا يدلُّ على أنَّ الصراع بين طهران والرياض باقٍ في أوجه، ولكن الطرفين يسعيان إلى المحافظة على قناة حوار مفتوحة من أجل منع تحوُّل التصعيد إلى مواجهة مباشرة، وبعبارة أخرى فإنَّ العراق مجرد نافذة ذات اتجاهين بين الجارتين المتخاصمتين²، إذ يُعدُّ مكاناً للمفاوضات وإرسال الرسائل لكلا الجانبين، وليس من المرجَّح أن يلعب دوراً أكبر من ذلك³، ولا يقتصر هذا الدور على العراق فقط، بل يمكن لدول أخرى أن تلعب هذا الدور من قبيل عمان والكويت وباكستان؛ بسبب علاقاتها المستقرة مع الجانبين، ولكن إناطة هذه المهمة للعراق ولشخص مصطفى الكاظميَّ عائد إلى سعيه للحصول على تنازلات مالية واقتصادية من الرياض، وكذلك لأخذ تنازلات من طهران للسيطرة على الفصائل المسلحة المرتبطة بها، إذ اظهرت نوايا محاولة اغتيال الكاظميَّ بأنَّه لم يكن موقَّفاً، ومع ذلك فإنَّه يُعدُّ سياسياً محترماً في حسابات طهران، ومن المحتمل أن يُتَّفَقَ على توليه رئاسة الحكومة العراقية مرة أخرى.

وأخيراً يظهر جلياً أنَّ الصراع بين طهران والرياض ذو جذورٍ دولية وإقليمية في آن واحد، وهي مرتبطة ببعضها بعضاً، ويتجاوز حلُّها الوساطة الإقليمية؛ لأنَّها بحاجة إلى إرادة وطنية وعالمية⁴.

2. <https://tinyurl.com/y2spk3hr>

3. <https://www.nytimes.com/2021/05/01/world/middleeast/Saudi-Iran-talks.html>

4. <https://tinyurl.com/y6qjuv55>